

أعلام الأدب العربي في شبه القارة  
الهندية الباكستانية

# أبو العلاء اللاهوري

الدكتور ظهور أحمد رانظر

المكتبة الصغيرة



٣٨

المكتبة الصّغيرة

۳۸

# أبو العلاء اللّاهوری

حياته... نشره... شعره

الدكتور ظہور احمد اظہر  
جامعة بنجاب - لاہور - پاکستان

# حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

المحرم ١٤٠٤ هـ

أكتوبر ١٩٨٣ م

منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

ص.ب ١٥٩٠

الرياض ١١٤٤١

الغلاف من تصميم الفنان : محسن منصور

•

أبو العلاء اللاهوری

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

( ١ )

إن اللغة العربية وآدابها في شبه القارة - الهندية الباكستانية - لفي حاجة إلى دراسة شاملة ، كما أن أعلام الأدب العربي من الشعراء والأدباء والعلماء في هذه المنطقة يستحقون كل عناية واهتمام من الدارسين والباحثين ، وذلك لأن تاريخ هذه اللغة وآدابها في هذه البقعة من الأرض حافل بالأجداد والآثار التي لا يمكن تجاهلها أو الإغماض عنها ، وإنما هي تلفت أنظارنا إليها وتدعونا إلى الدراسة والاطلاع ، وهي التي يجب أن تكون موضع الإعجاب والتقدير والافتخار لنا جميعاً ، وخاصة بالنسبة إلى مسلمي شبه القارة .

إن هذه الأجداد الخالدة التي حققها علماء اللغة العربية في شبه القارة ، وهذه الآثار الأدبية الباقية التي أنتجها هؤلاء العلماء ، سواء كانت في حقل العلوم الأدبية أو الدينية لم تزل ولا تزال محمولة مجهولة على الكثيرين من إخواننا العرب ، ولم تلفت أنظار علمائهم الباحثين والمحققين إلا ما شاء الله ، فلم تنتج لهم الفرصة المباشرة لدراسة هذه الآداب أو التعريف بأعلامها من الشعراء والأدباء إلا قليلاً نادراً ، ولكن ليس معنى ذلك أن إخواننا الباحثين العرب يجهلون اللغة العربية

وآدابها في شبه القارة جهلاً تاماً ، أو أنهم يحطون من شأنها ويغضون عن أعلامها أو يهملونها ويستخفون بأعمالهم ، كلا ! وأنى لهم ذلك ، وإنما هي تراثهم يجب أن يقدروها وهي بضاعتهم يجب أن ترد إليهم ! ولكننا نريد أن نقول ؛ بأن الظروف والأوضاع الراهنة لم تمنح لأحد منهم الفرصة للدراسة الشاملة لهذه الآداب العربية والتعريف بأعلامها على نطاق أوسع .

وكذلك فإن الأدباء والكتاب من أهل شبه القارة ، الذين تثقفوا ثقافة عربية وأجادوا لغة الناطقين بالضاد وأتقنوها ، مع بُعد الدار وعدم الصلة والعلاقة ، ثم أسهموا في الآداب العربية بمؤلفاتهم القيمة وبحوثهم الثمينة التي اعترف بها وبمؤلفيها إخواننا العرب وعرفوا فضلهم وقدروا جهودهم ، ان هؤلاء الأدباء والكتاب أيضاً لم يحفلوا بالآداب العربية في بلادهم ولم يحاولوا التعريف بأعلامها من الشعراء والأدباء والمؤلفين بالعربية إلا قليلاً نادراً مثل الأديب العلامة والشاعر المفلح ( غلام علي آزاد البلكرامي ) في ( سبعة المرجان ) والعالم التقى الشريف عبد الحجي الحسني في كتابيه : ( الثقافة الإسلامية في الهند ) و ( نزهة الخواطر ) .

وهذا ما كتب بالعربية ، أما ما كتب باللغة الأردوية أو الانجليزية عن الآداب العربية في شبه القارة فإنه أيضاً ليس كثيراً ، وإنما هي مجهودات متواضعة قام بها بعض الأفراد أو المؤسسات ، فاما المجهودات الجماعية التي قامت بها بعض المعاهد التعليمية أو المؤسسات العلمية فمنها ( تاريخ الآداب

العربية في شبه القارة ) وهو جهد متواضع قام به لفيف من الأساتذة الجامعيين وقد قام بطبعه ونشره جامعة بنجاب بـلاهور وهو باللغة الأردوية . ومن المجهودات الفردية ما قام به الدكتور زبير أحمد ، وقدمه كبحت للدكتوراه في جامعة كـبـمـرج ثم أضاف إلى ذلك من المعلومات القيمة ونشره باسم ( إسهام الهند في الآداب العربية ) وهو بالانجليزية، وقد ترجم إلى العربية وطبع في العراق، وقد أتيح لنا النظر في هذه الترجمة فلم تعجبنا لأن المترجم الفاضل - كما يبدو - لم يكن على معرفة جيدة باللغة الانجليزية، كما أنه أخطأ في كثير من المواضع في نقل الأسماء من الانجليزية الى العربية وزاد الطين بلة بما أضافه الطابع والناشر من الأخطاء الفاحشة التي لا تخلو منها صفحة !

وهذه المؤلفات كلها إنما هي تتناول تاريخ العلوم والآداب العربية ، ومن ضمنها تراجم الأعلام من الشعراء والأدباء والمؤلفين ، وأما الكتب المستقلة والتراجم الفردية المستوعبة فلم يـقـم بها أحد فيما نعلم، ولم يفرد أحد منهم كتاباً مستقلاً عن أحد من العلماء الأعلام وأعيان الفضلاء والشعراء، ونحن - بدورنا - نعتزم على التعريف بهم وهي سلسلة نبدأها بالشعراء الأعلام ، ونسأل الله عز وجل التوفيق الشامل لانجاز هذه السلسلة وذلك بالتشجيع الفائق والمساعدة الأخوية التي تلقيناها من الأخ الفاضل والأستاذ الكريم عبد العزيز الرفاعي صاحب دار الرفاعي ورائد المكتبة الصغيرة بالرياض، حفظه الله تعالى ووفقه لما يقوم به من الخدمات الجليلة من أجل لغة الضاد وآدابها ! أمين !

وقد اخترنا الشاعر أبا العلاء عطاء بن يعقوب الغزنوي  
 اللاهوري ليكون نقطة الانطلاق والبداية لهذه السلسلة المفيدة  
 عن أعلام الآداب العربية في شبه القارة وذلك لسببين :  
 أولهما أنني كنت قد سئلت وأنا في مصر سنة ١٩٧٧م أن  
 ألقى محاضرة وجيزة، أعرّف فيها بشاعر من شعراء شبه القارة  
 فاخترت هذا الشاعر العظيم الذي ولد ونشأ بعيداً عن ينابيع  
 اللغة العربية وموطنها الأصلي ، إلا أنه أجادها وأتقنها ثم  
 نظم وكتب بها على الأساليب العربية الأصيلة المتداولة في ذلك  
 العصر في كل مكان من العالم الإسلامي من الخليج إلى المحيط  
 وفي الأندلس والهند وبلاد ما وراء النهر ، تلك الأساليب  
 الإنشائية النثرية البديعة التي كان الكتاب والعلماء يتفننون  
 بها ، ويبرزون براعتهم فيها، أو المحسنات البديعية في الشعر  
 العربي التي كان الشعراء بها مولعين ، ويأتون فيها بالعجائب  
 والغرائب . فاعدت محاضرة وجيزة عن هذا الشاعر، وكانت  
 عبارة عن ثلاث صفحات فقط ! فألقيتها في إحدى المجالس  
 العلمية هناك، ثم نشرت تلك المحاضرة في إحدى المجلات  
 العربية القاهرية ، وقد اتضح لي وأنا أعدها ، بأن أبا العلاء  
 اللاهوري يحتاج إلى بحث أطول وأعمق وأنه لا يكفيه مثل هذه  
 المحاضرة الموجزة العابرة المستعجلة .

وأما السبب الثاني الذي جعلني أختار أبا العلاء اللاهوري  
 بالذات دون غيره من الشعراء والأدباء والعلماء الأعلام . فهو  
 أنه أول شاعر في شبه القارة — ولعله في تاريخ آداب اللغة

العربية على الإطلاق - الذى أنتج ثلاثة دواوين بثلاث لغات ،  
ومن بين هذه الدواوين الثلاثة ديوان ' شعره باللغة العربية !

### ( ٣ )

وما دامت هذه المحاولة هى الخطوة الأولى التى ننطلق بها فى  
طريق التعريف بأعلام الآداب العربية فى شبه القارة فيجب اذن  
أن نلزم الماماً بقصة وصول اللغة العربية ودخولها فى شبه القارة  
وتطور أدبها فيها ، كما يجب أن نعرف شيئاً قليلاً عن مدينة  
لاهور - قلب باكستان الحفّاق ومقر أبى العلاء ومدفنه -  
تلك المدينة التاريخية التى قدّر لها أن تكون عاصمة  
الغزنويين ، وتحتل الصدارة بين المراكز الثقافية الإسلامية  
فى شبه القارة - وذلك لكي نتمكّن من إدراك الظروف  
والأحوال والخلفية التاريخية التى أنتجت الأعلام من الشعراء  
والعلماء من أمثال أبى العلاء اللاهوري ولكي نستطيع أن  
نفهم أدبه حق الفهم ونقدّره حق التقدير !

إن الصلات بين البلاد العربية وشبه القارة أو بعبارة  
أخرى العلاقات بين اللغة العربية وشبه القارة الهندية  
الباكستانية قديمة جداً ، قدم التاريخ نفسه ! فقد كان  
التجار العرب يختلفون بالبضائع بين بلادهم وبلاد شبه القارة  
فى عصور متقدمة جداً ، وكانوا يغدون ويروحون ويحملون  
معهم ، الى جانب البضائع التجارية من المعلومات والمواد  
الثقافية ، وهذا التبادل التجاري والثقافي قد ترك شيئاً كبيراً  
من الآثار ، مما لا يمكن إنكاره أو تجاهله ، ويدلّ على ذلك

ما نجده من الكلمات والمفردات المعربة الهندية الاصل ، وخاصة المفردات التي جاءت كأسماء المنتوجات والبضائع التجارية الهندية في الأدب العربي الجاهلي ، شعره ونثره .

وهذا عن العصور التي سبقت الإسلام ، وأما العلاقات بين البلاد العربية وشبه القارة بعدها فمما لا يحتاج الى وضوح أو دليل ، إنما هي حوادث معلومة ووقائع معروفة قد سجلها التاريخ ، ولا تزال موضع الاهتمام والعناية للباحثين والعلماء فمن المعاليم أن الفتح الاسلامي العظيم قد تم على يد القائد المسلم اليافع محمد بن القاسم الثقفي ، فدخل الاسلام في هذه البلاد منتصراً وكقوة أخلاقية خلافة ، ودخلت معه العربية في نفس الوقت ، ولم تأبث أن تصبح لغة البلاد الرسمية ولم تزل تحتل مكان الصدارة في مناطق باكستان الحالية حتى أزاحتها الفارسية عنه فعلت محلها وسدت طريقها وذلك في أخريات العصر الغزنوي !

## ( ٤ )

وقد كانت الدولة الإسلامية الغزنوية ، التي قضت على الحكم القرامطي في السند والمولتان ، دولة العلم والأدب والثقافة عُنيت قبل كل شيء بالعلوم والآداب وبالعلماء والأدباء والشعراء والفنانين ، إلا أنها هي أول دولة من بين الدول الإسلامية التي تَبَنَّت الثقافتين العربية والفارسية في نفس الوقت ، والتي اهتمت بلغة ثانية إلى جانب العربية فإن اللغة

الفارسية وإن كانت قد أخذت تطل برأسها من مجاهل التخلف إلى معالم الحضارة في عصر الملوك السامانيين ، إلا أن المكانة التي أتيحت لها في العصر الغزنوي لم تتح لها فيما سبق من العصور .

ففى هذا العصر - عصر الدولة الغزنوية - كانت الثقافة العربية قد بدأت تضعف ، وتتخلف فى بعض العواصم الإسلامية ، ومنها غزنة أو غزنى عاصمة السلاطين الغزنويين ، وأخذ المسلمون - العرب وغيرهم فى هذه البلاد النائية عن موطن العربية ومهدى العريق - يبتعدون عن الثقافة العربية شيئاً فشيئاً وينعنون بالثقافة الفارسية أكثر فأكثر ، فكان هذه الدولة تمتاز باهتمامها بالثقافتين ومن ثم عرفت بالدولة ( ذات اللغتين ) العربية والفارسية ، ولم تزل العربية هى اللغة الرسمية للبلاد ولغة الديوان الملكى فى العصر الغزنوي الأول ، ولكن اللغة الفارسية كانت قد بدأت تحتل مكانتها كلفة التغاطب والمحادثة ، لأنها أخف وأسهل من العربية التى كانت قد فقدت صلاتها المباشرة بينابيعها الأصلية فى البلاد العربية، فضعفت عراها وانخفض مستواها ، وازداد الطين بلة عندما انتشرت الأساليب البديعية المتكلفة الثقيلة الجوفاء فى الشعر والنثر معاً، وصعب التعبير بها على العقول البشرية، وضلت المعانى فى ترهات السجع والقافية !!

إن اللغة الفارسية وإن كانت قد أصبحت لغة التغاطب والحديث فى هذا العصر ، وبدأ الشعراء والأدباء يتخذونها أداة للتعبير والبيان ، إلا أن كبار العلماء الأفاضل كانوا

يفضلون الإنشاء والتأليف في اللغة العربية من أمثال العالم العلامة أبي ريعان محمد بن أحمد البيروني ، والشيخ العتبي صاحب التاريخ اليميني، وغيرهما، وأما الشعراء في ( غزنة ) العاصمة الأولى للغزنويين فكانوا يقولون الشعر باللغتين العربية والفارسية ، ومن ثم معظم الشعراء في هذا العصر قد عرفوا ( بشعراء ذوى اللسانين ! ) وأما الشعراء الغزنويون الذين عاشوا في ( لاهور ) العاصمة الثانية للغزنويين فانهم قد أضافوا إلى العربية والفارسية لغة ثالثة وهى الهندية التى امتازت فيما بعد، فعرفت باللغة الأردوية وهى لغة باكستان القومية الآن !

## ( ٥ )

وأما مدينة لاهور التى إليها ينتسب أبو العلاء عطاء بن يعقوب اللاهوري ، فهي مدينة إسلامية عريقة وقد كانت ولا تزال - كما قلنا - مركزاً ثقافياً إسلامياً وقلباً خفّاقاً لباكستان ولمسلمى شبه القارة جميعاً، لا بل لمسلمى العالم جميعاً !! وهى قديمة قدم التاريخ ، وقد وصلتنا معلومات أسطورية عن بنائنها وبنائنها، وعن عمرانها وسكّانها وكلها تشير الى أن هذه المدينة كانت عامرة قبل قرون من ميلاد المسيح عليه السلام .

وقد أصبحت مدينة إسلامية منذ الفتح الاسلامي لها على أيدي السلاطين الغزنويين ، فمنذ تلك اللحظة السعيدة أصبحت مدينة لاهور مدينة إسلامية ومركزاً هاماً للثقافة

الإسلامية وحصناً حصيناً للأمة الإسلامية وأنصارها وزعمائها وقادتها ، ومنذ ذلك اليوم يبدأ تاريخ لاهور الثقافي الإسلامي ، ومنذ ذلك الحين صارت عاصمة ثانية للغزنويين ، كما أنها ظلت عاصمة ثانية للأباطرة المغول ، وهي الآن عاصمة اقليم بنجاب الذى هو أكبر أقاليم باكستان ، كما كانت عاصمة لهذا الاقليم فى عهد الاستعمار البريطانى ! وفيها جامعة بنجاب أكبر جامعات باكستان وأقدمها وأشهرها ، وهي تُعرف بمدينة الأضواء والأنوار ومدينة الكليات والمعاهد التعليمية ، كما أنها تُعرف بالعاصمة الثقافية لجمهورية باكستان الإسلامية وقلبها الخفقان ! وفيها تمّ اتخاذ القرار التاريخي الإسلامي لإنشاء باكستان ، وفيها عُقد مؤتمر القمة الاسلامي الثاني فى ١٩٧٤م ، وفيها ضريح شاعر الإسلام العلامة ( محمد اقبال ) الذى رأى حلم باكستان والذى نادى بالنهضة الإسلامية ووحدة العالم الإسلامي !

**ظهور أحمد أظهر**

قسم اللغة العربية

جامعة بنجاب بلاهور

لاهور فى ١٥ يوليو ١٩٨١م



# حياة أبي العلاء اللاهوري

- ١ ~ أسرته .
- ٢ ~ مولده .
- ٣ ~ المنصب والمحنة .
- ٤ ~ بين الأهل والأصدقاء .
- ٥ ~ وفاته .



# حياة أبي العلاء الملاحوري

أُسْرَتُهُ :

و يصرح المؤرخ الإيراني الشهير ( رضا قلى خان هدايت ) فى كتابه الموسوم بمجمع الفصحاء الذى خصّصه لتراجم الأعيان من شعراء اللغة الفارسية وأدبائها بأن الشيخ الفاضل العميد الأجل أبا العلاء عطاء بن يعقوب الغزنوي ثم الملاحوري كان ينتمى إلى أصل عربي ، وكان آباؤه قد هاجروا من البلاد العربية فى عهد مبكر جداً، ونزلوا بمدينة ( الري ) من مدن إيران القديمة، ومراكزها الثقافية العامرة، فاستوطنوها وأقاموا بها مدة من الزمان ثم هاجروا منها إلى غزنة عاصمة الملوك الغزنويين ، وقد كانت هذه الأسرة العربية الكريمة أسرة ذات علم وفضل

وشرف ونباهة وطيب ذكر ، وكانوا فضلاء  
أجلاء ولم يزالوا يكرمون أينما ذهبوا ، ويحتلون  
المناصب الحكومية نسلًا بعد نسل ، ويكتسبون  
السمعة الطيبة وأطيب الذكر كالكتاب المترسلين  
الناجحين النابهين .

ولدى وصول هذه الأسرة الفاضلة إلى غزنة  
استقبلها الملوك الغزنويون ، ورحبوا بها كل  
ترحيب وفوضوا إلى رجالها الوظائف الهامة  
والمناصب الحكومية ، فقامت هذه الأسرة النابهة  
بما فوض إليها من المهمات حق القيام واكتسبت  
بذلك ثقة الملوك وإعجابهم بها .

ويذكر ياقوت الحموي بأن أحد أبناء العم  
لأبى العلاء، كان قد نال ثقة الملك، وحاز إعجابه  
حتى احتل وظيفة (الكوتوال) وهى كلمة هندية  
الأصل ؛ ومعناها: المحافظ، أو المحتسب، إلا أن  
الغزنويين كانوا يستعملون هذه الكلمة لنائب  
الملك على قلعة أو مدينة، وإليه يشير ياقوت حيث

يقول :

« عطاء بن يعقوب بن ناكل ، أحد أعيان فضلاء  
غزنة ، وهو من أولاد الثناء ، وكان ابن عمه  
(الكوتوال) وهو مستحفظ القلعة ، تلقب بهذا  
وهو بالهندية ، وإليه مصادر الأمور ومواردها  
عند غيبة سلطان البلاد ! »

فإنّ هذا إن دَلَّ على شيء فإنما يدلُّ على نباهة  
هذه الأسرة العربية ونبلها وكرمها، وكفاءة  
رجالها لتحمل المسئوليات والمهام من شؤون  
الدولة .

### مولده :

إن المصادر والمراجع العربية منها والفارسية -  
عن حياة أبي العلاء لا تصرح بمولده ومنشئه  
أكان ذلك بالري أو غزنة ؟ والأول هو الأرجح  
وذلك لسببين : أولهما أن المؤرخ (هدايت) يترجم

له في كتابه تحت عنوان ( عطاء الرازي ) ويقول:  
إن بعض الناس يعتقدون بأن ( العميد عطاء )  
و ( الأستاذ عطاء الرازي ) شخصان مختلفان ،  
وهو خطأ لأنهما شخص واحد، وهو الأستاذ العميد  
الأجل أبو العلاء عطاء بن يعقوب، والسبب  
الثاني أن كتب التراجم المتأخرة أو بالأحرى أن  
نقول: إن المؤلفين من المناطق والبلاد التي عاش  
فيها أبو العلاء في طوره المتأخر من حياته  
يذكرونه كأبي العلاء عطاء الغزنوي . ويهملون  
نسبة ( الرازي ) فمعنى ذلك أن ( عطاء بن يعقوب )  
كان ينتسب أولاً إلى الري فيعرف بالرازي . ثم  
إذا هاجر إلى غزنة ومنها إلى لاهور عرف بالغزنوي  
أو اللاهوري، وأما النسبة الأولى التي عرف بها  
وهو بالري بين الشعراء الإيرانيين فقد أهملها  
هؤلاء المؤرخون إهمالاً . وإذا كان كذلك فبالتالي  
أن أبا العلاء كان ولد بالري حيث كانت أسرته  
تقيم بها قبل الهجرة إلى غزنة ثم إلى لاهور !

## المنصب والمحنة :

ويبدو أن أبا العلاء ، كباقي أعضاء أسرته الفضلاء ، كان قد حظي بثقة الغزنويين ، وكيف لا وقد كان على قدم راسخة في الكتابة والإنشاء وكان يجيد اللغتين العربية والفارسية شعراً ونثراً ، وفوق ذلك كله فقد كان من أسرة الفضلاء والوجهاء النابهين، فتولى المناصب والوظائف الحكومية الكبيرة فظل يتقلب في الوظائف وينقل من مكان إلى آخر، ومن وظيفة إلى أخرى لمدة لا يعلمها إلا الله ، ثم لم يلبث أن نزل به العتاب الملكي وحدث به مثلما حدث بصديقه الوفي ( مسعود سعد سلمان اللاهوري ) فيما بعد فعزله السلطان إبراهيم الغزنوي على تهمة التمرد والعصيان والتآمر ضده ، وحبسه في حصن من حصون الهند في سنة ٤٦٣ هـ ، وذلك لأن المؤرخين وأصحاب التراجم يقولون: إن السلطان إبراهيم الغزنوي عندما زار لاهور ليتفقد المناطق الهندية من المملكة الغزنوية كان أبو العلاء عطاء

إذ ذاك قد أكمل السنة الثامنة من حبسه ، ومن  
المعلوم أن السلطان المارّ ذكره تبوأ العرش  
وتسلّم مقاليد الحكم في ٤٥١ هـ ، وورد في المناطق  
الهندية من مملكته في سنة ٤٧٢ هـ ، فعلى هذا  
الأساس يجب أن يكون أبو العلاء قد وضع في  
السجن عام ٤٦٣ هـ لتكتمل بذلك مدة ثماني  
سنوات من الحبس في سنة ٤٧٢ هـ ، ويؤيد ذلك  
ما قاله الشاعر أبو العلاء نفسه في قصيدة له  
بالفارسية يذكر فيها آلام السجن وشدائد القيد ،  
ووطأته ويستعطف الملك ليفرج عنه ، ومما جاء  
في هذه القصيدة قوله :

زَآن بَرَاهِيمِ بِلَاغِ كَشْتِ آتَشِ  
زِينِ بَرَاهِيمِ خُلْدِ كَشْتِ جَحِيمِ

بِي كُنَاهِ مَانْدِه هَشْتِ سَالِ بَهَنْدِ  
جُونِ كُنِهِ كَارِ دَرِ عَذَابِ أَلِيمِ

ومعناه : « أن هناك إبراهيمان أحدهما إبراهيم  
خليل الله عليه وعلى نبينا صلوات الله وسلامه  
الذي صارت النار برداً وروضة بسببه ، وهذا

إبراهيم آخر وهو إبراهيم الغزنوي الذي صارت  
جنة الخلد جعياً بسببه ، حيث ألقاني في جهنم  
الحبس والقيء وأنا لا ذنب لي ، أنا برىء مما  
يرموننى به، وقد بقيت سجيناً في محبس الهند  
لمدة ثمانى سنوات أكابد الآلام كما يكابدها  
العصاة المجرمون ! »

وفي قصيدة أخرى له بالفارسية أيضاً ينفى عنه  
تهمة العصيان والتمرد ، ويقول: إنه بهتان عظيم  
اختلقه الوشاة القساة من أعدائه، ويحدثنا بأنه  
لم يقترب أي ذنب ، وإنما كانت منه زلّة جعلها  
الماسدون الجناة عصياناً وتمرداً ، مما سبب  
العتاب الملكي الذى نزل به، وجرّ عليه هذا  
العذاب الأليم ، وأن مثله مثل آدم ومثل أعدائه  
الحساد مثل إبليس اللعين الذى أزل آدم عليه  
السلام عن الجنة، فأخرجه وزوجه منها، فهبط  
أرض الهند - كما يقال - فكذلك هو الآخر الذى  
أزله الشياطين عن المكانة المرموقة، فألقي من  
جنته إلى محابس الهند . ويقول أبو العلاء :

بهند أوفتادم جون آدم ز جنّت  
بتاويل' وتلبیس بُهتَانِ مُنکر

نه کَندُم جَشیدِه نه آو'ردِه عَصیان  
نه مَن قولِ ابلیس رَا کردِه باوَر

اکر کَندَمی بُد هَمی جُرمِ آدم  
همه جُرم مَن آز جوئی هست کمتر

بَلَایِ مَن آمَد همه دَانِشِ مَن  
جُون رُو بَاه رَا مُو ، وَ طَاؤُس رَا بَر

ومعناه : (۱) قد هبطت الهند کَادَم حین اَزَلَّه  
الشَّیْطَانُ عَنِ الْجَنَّةِ بِحِیْلِ التَّأْوِيلِ وَالتَّلْبِیْسِ  
والبهتان المنکر .

(۲) أما أنا فما أَكَلْتُ الحَنْطَةَ، ولا عصيت، كما  
أنتی لم أوْمَن بما قال لی إبلیس اللعین حیث  
أراد زلّتی !

(۳) إذا كان ذنب آدم هو أكل حبة واحدة من  
الحنطة ، فإن ذنبی لم یکن إلا أَقلَّ من حبة  
الشعیر !

(٤) ان السبب الذى ابتليت به وسقطت في المحنة إنما هو ذكائي اللامع ، وعلمي الموفور ، فمثلى مثل الثعلب الذى يشبه جلده جلد النمر فيظنه الناس النمر الصغير، أو مثل الطاووس لذى يجر عليه البلاء أجنحته !

### بين الأهل والأصدقاء :

على الكلّ ، فقد ظلّ الشيخ أبو العلاء اللاهوري يكابد آلام السجن وشدائده ، ويعالج هموم الحياة ونوائبها، لمدة لا تقل عن ثمانية أعوام ، حتى زار السلطان إبراهيم الغزنوي الأقاليم الهندية للسلطنة الغزنوية وذلك في سنة ٤٧٢هـ فذكر له أن أبا العلاء عطاء بن يعقوب المسكين لا يزال في السجن منذ ثماني سنوات ، وأنه برىء لا ذنب له، فعضا عنه السلطان وأطلق سراحه وخلقى سبيله .

واستقر الشاعر الكاتب أبو العلاء بمدينة لاهور واختارها منزلاً ومفرجاً ليقضي فيها ما بقي

من أيام حياته المقدّرة ، وإقامته بهذه المدينة العريقة ليست بقصيرة، وإنما تمتدّ إلى ما يقرب من عشرين عاماً وهى مدة طويلة جداً ، إلا أننا لا نعرف كثيراً عن هذا الطور الأخير من حياة أبى العلاء، غير ما جاء من الإشارات الخفية فى كتب التراجم والسير، من أن مدينة لاهور كانت قد أصبحت عاصمة ثانية للدولة الغزنوية، ومركزاً هاماً من مراكز الثقافة الإسلامية حيث اجتمع فيها المحدثون والعلماء من أمثال الشيخ المحدث إسماعيل الغزنوي، والشيخ المتصوف والعالم الموحد أبى الحسن علي بن عثمان الهجويري والأدباء والشعراء والكتّاب من أمثال أبى الفرج الروني، وأبى محمد الأرشدي . ومسعود سعد سلمان اللاهوري، وغيرهم.. وكان بينهم وبين أبى العلاء اللاهوري صداقة وصلات طيبة والظاهر أنه كان خلال هذه المدة يقرض الشعر ويحضر المجالس الأدبية يجتمع فيها بأصدقائه من الشعراء والأدباء والكتّاب .

## وفاته :

وتوفي الشيخ أبو العلاء عطاء بن يعقوب الغزنوي  
اللاهوري في سنة ٤٩١ هـ بمدينة لاهور، ودفن  
بها على أصح الأقاويل ، وقد ذكر بعض المؤرخين  
من أمثال (هدايت) في مجمع الفصحاء ، أنه  
توفي في سنة ٤٧١ هـ وهو غير مصيب لأن العلامة  
محمد العوفي قد ضبط تاريخ وفاته ، فقال : إنه  
مات في ( سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ) ، وقد  
مرّ أن أبا العلاء كان حيّاً مسجوناً في سنة  
٤٧٢ هـ حين زار إبراهيم الغزنوي الهند في تلك  
السنة نفسها ، وما ذكرناه من تاريخ وفاته هو  
المختار عند جهابذة العلم والفن ، والله أعلم  
بالصواب .



آراء أهل العلم في شخصيته



ولبعض أهل العلم آراء في شخصية أبي العلاء  
عطاء بن يعقوب اللاهوري وثناء عليه، وإعجاب  
بعلمه وفضله ومكانته، ونرى الجميع، منهم الذين  
رأوا رأيهم فيه، يشيدون بذكره ويقدرّون  
خدماته الفائقة ومجهوداته الجبارة التي بذلها من  
أجل العلوم والآداب والثقافة، أو من أجل أصدقائه  
وإخوانه والقيم الخلقية العليا، وأن هذا الاهتمام  
بشخصيته من أهل العلم وتقديرهم له إنما يدل  
على نبلة وكرمه ومكانته وشرفه في الأوساط  
العلمية والثقافية والأدبية المعاصرة بمدينة  
لاهور في العصر الغزنوي .

ومن هذه الآراء القيمة في شخصية أبي العلاء  
اللاهوري ما قاله أخلص أصدقائه وأوفاهم له  
الشيخ الأجل والشاعر النابغة مسعود سعد  
سلمان اللاهوري في إحدى قطعاته الشعرية  
ما معناه :

« يا عطاء بن يعقوب ! أنت الذي أُضِيئَتْ  
به دنيا العلم والآدب وتلألأت سماؤها ! إنك

أنت مكان الشمس بالنسبة الينا ، أما نحن بالنسبة اليك فاننا ذرات حقيرة ، وأهباء متطايرة من الغبار ! والآن ، وقد باعد الزمان بينك وبيننا وتفرقنا أيادى سبا ، قد حرمنا من رؤيتك وحنانك وعطفك علينا، فكأننا الآن ذرات حقيرة قد حرمت من أضواء الشمس ودفئها وتتخبط فى دياجير الظلم والحرمان وليس من يهتم بنا أو يقضى بيننا بالعدل ! »

وقد ذكر الأديب الفاضل محمد العوفى مؤلف ( لباب الألباب ) ولقبّه ( بالعميد الأجل وأفضل الناس فى عصره ) فقال ما معناه : « ان العميد عطاء ابن يعقوب قد كان عطية من العطايا النادرة التى جادت بها السماء على الأرض ، إنه كان عميداً قد مكّنه الله على مكانة كبيرة من العلم والفضل وكان قد أوتي من المعانى العميقة النادرة إلى جانب اللفظ الجميل كاللآلى الثمينة التى تحلو للأسماع والآذان ! »

ومن المشيدين بذكره المثنين عليه الشيخ  
( هدايت ) صاحب ( مجمع الفصحاء ) الذى يقول  
عنه ما معناه :

« إن العميد الأجل أبا العلاء عطاء بن يعقوب  
قد كان من أعظم أعظم الزمان، وأفضل أفاضل  
العصر وكان فاضلاً فصيح البيان وشاعراً رشيق  
اللسان، ولسنا من المبالغين إذا قلنا إنه كان عميداً  
من عمداء العلم والفضل، وعطية فريدة بديعة من  
العطايا الربانية ، فكأن الله قد خلقه زينة للعلم  
ومنحة لأهله، ولم يكن أحد بين فصحاء العرب  
والعجم فى عصره من استطاع أن يجيد اللغة  
العربية والفارسية كما كان يجيدهما، وأن جميع  
البلغاء المعاصرين له فى العرب والعجم كانوا  
بُكمًا فى حضرته، وكانوا يثنون عليه ويقدرونه  
غاية التقدير ! »

ويقول عنه صاحب ( سر السرور ) القاضي  
محمد بن محمود الفزنوي :

« إذا اجتمع الأفاضل في مضمار التفاضل  
واتزنوا بمعيار التساجل وميزان التسابق ،  
كان هذا الشيخ هو الأبعد احضاراً والأرجح  
مقداراً . أقر له بالتقدم رجالات الآفاق وأذعن  
له بالترجيح فضلاء خراسان والعراق حتى  
أشرق شمساً وهم بين كوكب وشهاب ، وأعذب  
بحراً وهم بين نهر وسراب ، يجلو عليه الفضل  
نفسه في معرض الإحسان، ويناغيه أهل الفضل  
بلسان القصور والإذعان ، وتشرئب إلى قلائده  
أجياد الأنام، وتتباهى برسائله مواقع الأقلام ! »

پیشہ و بین مسعود اللہ لاہوری



ومن أمثال العرب السائرة قولهم : جليس المرء مثله وأيضاً يقولون : من عرف بشيء نسب إليه ! وهذا مما يطبق على أصدقاء الرجل وأصحابه وأخلائه وزملائه الذين نشأ بينهم وترعرع وعاش فيهم، واكتسب منهم ، تأثر بهم وأثر فيهم فعرف بهم، وعرفوا به وهو مما لا شك فيه ولا ريب، لأن التجارب البشرية قد حققتة والتاريخ الإنساني قد أثبتته عبر العصور !

فإذا كان كذلك فإن أصدقاء أبي العلاء عطاء ابن يعقوب اللاهوري وأخلائه وزملاءه لجديرون باهتمامنا، حتى نعرفهم، وبالتالى نعرف شخصية أبي العلاء ومكانته في المجتمع الإسلامي في العصر الفزنوي، إن الرجال الأصدقاء لأبي العلاء قد كانوا غرراً في جبين الدهر، وقدوة في المكارم والمحاسن، وكانوا كراماً وأئمة وأعلاماً، وعن هؤلاء يقول أبو العلاء اللاهوري :

قد كان دهرى جنة في ظلهم  
ساروا فأضحى الدهر وهو جعيم

قد خانهم صرف الزمان لأنهم  
كانوا كراماً والزمان لثيم !

ومن هذه النخبة المختارة لأصدقاء أبي العلاء :  
منصور بن سعيد الغزنوي وأبو الفرج الروني  
ومسمود اللاهوري ، أما الأول فقد علت به  
الكفاءة، ورفعته الأقدار، وساعده حظه حتى أصبح  
وزيراً ناجحاً من وزراء السلاطين الغزنويين ،  
وأما أبو الفرج الروني فقد ذاع صيته، وامتازت  
مكانته بين الشعراء المعاصرين له، حتى حاز  
إعجاب السلطان إبراهيم الغزنوي فقربه، وأفاض  
عليه من خزائنه، وجعله من خاصته ونال منصب  
شاعر البلاط ، وأما الثالث وهو مسمود  
اللاهوري فقد نال مكانة في تاريخ الآداب العربية  
والفارسية لشبه القارة مالم ينله أى شاعر غيره  
سواء كان في عصره أو في العصور التي تلتها !  
فقد قدر لهذا الشاعر العظيم أن يحظى بمنصب

الأولى في إنتاج الشعر من الطراز الأول في  
اللغات الثلاثة : العربية والفارسية والهندية !

وكان أبو العلاء أحب الناس إلى مسعود سعد  
اللاهوري، كما أن أبا العلاء كان يحب مسعوداً  
أكثر مما كان يحب الآخرين من أصدقائه ويفضله  
عليهم، فقد كانا صديقين وفِيَّين، جمع الحب بين  
قلبيهما على أسس الإخلاص والوفاء المتبادل، وقد  
سجل مسعود في شعره الفارسي كثيراً من الملامح  
والمشاهد والوقائع من هذه الصداقة الخالدة التي  
ربطت بينه وبين أبي العلاء اللاهوري، فمن ذلك  
قوله يذكر أصدقاءه الثلاثة أبا العلاء وأبا طاهر  
عمر الغزنوي والشيخ منصور بن سعيد الوزير  
الغزنوي :

أَي رَفِيقَانِ مِنْ أَي عُمَرٍ وَمَنْصُورٍ وَعَطَا

كَه شُمَا هَرَسَه سَمَائِدٍ وَهَوَائِدٍ وَصَبَا

ومعناه : ألا يا أصدقائي الأعزة ! يا عمر  
ومَنْصُور وعَطَا ! أنتم الثلاثة بالنسبة إليَّ  
كالسَّمَاء والهَوَاء والصَّبَا !

وَيَقُولُ لَهُ فِي مَكَانٍ آخَرَ مِنْ دِيْوَانِهِ الْفَارْسِيِّ :

عَطَايَ يَعْقُوبَ أَي رُوشَن آزَتُو عَالِمِ عِلْمِ

تَوَافَتَابِي وَمَا ذَرَّه رَا هَمِي مَانِيمِ

ويعني به : أيا عطاء بن يعقوب ! ذلك الذي  
أضاء العالم ونورَّه بعلمه الفزير ! أنت شمس  
ونحن ذرَّات حقيرة بين يديك !

ولمسعود هذا قصيدة فارسية رائعة رثى بها  
صديقه الحميم أبا العلاء عطاء بن يعقوب  
اللاهوري ولا نرى بأساً في أن نورد ستة أبيات  
من هذه القصيدة الطويلة :

از وفات میر یعقوبم

تازَه ترشُد و قاحت عالم

کوهری بُود در هنر که ازو

فخر می کرد کوهرِ آدم

بس ازو روز فضل و دانش و علم

نبُود هیچ رُوشَن و خیرم

'خشك' شد 'خشك' مرغزارِ ادب

تیره شد تیره جوئبارِ حکم

تَعَزَّيْتَ كَيْ تَوَانِدَ صَبْر  
مَرَثِيَّتْ كُنْتُ كَيْ تَوَانِدَ غَم

که نِشَسْتِه است وایستاده به جد  
نثر در سؤك و نظم در ماتم

و ترجمه الأبيات كما يأتى :

(١) إن وفاة سيدنا عطاء بن يعقوب قد  
جددت وقاحة هذه الدنيا، وكشفت عن قلة حياتها  
وعدم مبالاتها بالكرام .

(٢) إن أبا العلاء عطاء بن يعقوب قد كان  
جوهرة في دنيا الفضل والفن، تلك الجوهرة التي  
يفتخر بها بنو آدم !

(٣) ومنذ أن مات لم نر الفضل والحكمة  
والعلم مضيئاً مسروراً ! كل ذلك يعانى من  
الحزن والألم وفقد رونقه وبهاءه بموته !

(٤) قد ذبل وجف مَرَجُ الأدب واسودَّ نهر  
الحكم بموت هذا العالم الأجل !

(٥) إنه لا صبر بالتمأزى ولا تخفف المرائى  
الهموم .

(٦) إننا نرى النثر والنظم يقومان ويقعدان  
حزناً وقلقاً فى مآتمه !

وقد ولد شاعرنا الفذ مسعود بن سعد بن  
سلمان اللاهوري عام ٤٣٨ هـ (١٠٤٦ م) بمدينة  
لاهور، وكان مفخرة من مفاخرها الخالدة وغرة  
من الفرر المتألثة فى جبينها وكان فى قمة الشعر  
الفارسي، وكان يتقن الفارسية نثراً وشعراً  
وديوانه الفارسي الكبير مطبوع متداول، ويعترف  
الإيرانيون أنفسهم بفضله وعلو كعبه فى لغتهم  
وأدائها، كما أنه كان يجيد العربية والهندية  
ويقول الشعر بهما ، ويقول عنه ( حَسَّان  
الهند غلام علي آزاد البلكرامي) فى سبعة المرجان:  
« وهو مثلى (أى مثل مؤلف سبعة المرجان) عارف  
بالألسنة الثلاثة وصاحب ثلاثة دواوين : العربي  
والفارسي والهندي وأنا صاحب الديوانين  
العربي والفارسي ومالى فى الهندي ديوان ولكنى

ماهر فى الشعر الهندي ودقائقه ... وأما الديوان  
العربي والهندي لمسعود فطارت بهما العنقاء  
وفرت أوراقيهما النكباء ! »

وأما آباء الشاعر مسعود سعد سلمان  
اللاهوري فأصلهم من مدينة همدان ثم هاجروا  
إلى غزنة عاصمة الغزنويين، ثم منها إلى لاهور التى  
اتخذوها مستقراً ومقاماً، وكانت أسرة الشاعر  
أسرة علم وأدب، يتحمس أهلها لدينهم ويدافعون  
عنه، وكانوا يعنون بالعلماء وينفقون عليهم من  
مالهم ، وكانوا يشغلون المناصب الحكومية الكبيرة  
فى عهد السلاطين الغزنويين . أما أبوه سعد بن  
سلمان اللاهوري فقد كان من أعيان الدولة  
الغزنوية والجاه، وقد ظل سعد يحتل منصبه الكبير  
هذا لفترة طويلة جداً .

وكان مولد مسعود بلاهور المدينة التى ولع  
بها وأحب جوها وبيئتها ، وأعجب بجمالها  
الطبيعي واعتد بتقاليدها، وافتخر بأمجادها ،  
وقد نظم شعراً جميلاً أشاد فيه بمكان ميلاده

بصورة تألق فيها حنين الواله، وهو شعر الحنين إلى  
الأوطان ليس له نظير في الشعر الفارسي الهندي  
كله .

وقد عمّر مسعود اللاهوري طويلاً، وشهد  
عصر ستة من الملوك الفزنويين ، وكان قد احتل  
في ظلّ بعضهم المناصب الحكومية العالية، كما مرّ  
في عهد البعض منهم بمحن شديدة، وكان السلطان  
إبراهيم الفزنوي قد اختاره معلماً خاصاً لابنه ،  
إلا أن البعض من أعداء الشاعر وشى به عند  
السلطان بأنه يدبر مؤامرة سرّية ضده مع  
السلطان ملك شاه السلجوقي ، فحبسه السلطان  
إبراهيم الفزنوي في قلعة بقي فيها عشرين عاماً .

وخلال هذه المحنة الشديدة كان الشاعر قد  
نظم شعراً حزيناً باكياً، شرح فيه ما كان يقاسيه  
من آلام السجن ، ومؤامرة الأعداء وغدر  
الأصدقاء ، والحزن على بُعده من لاهور ،  
مسقط رأسه ، ومجال حبه ووداده ، والواقع  
أن شعره هذا من أروع شعر الأسر الذي يصور

حزن المسجونين وآلامهم ويرسم صورة محزنة  
لكربة المكروبين .

وتوفي هذا الشاعر العظيم والإنسان الفذ عام  
٥١٥ هـ ( ١١٢١ م ) بمدينة لاهور ودفن بها .

أما شعر مسعود سعد سلمان اللاهوري  
بالعربية فهو يحمل طابعاً خاصاً ويمتاز بأسلوبه  
اللبق البليغ، وسلاسة الألفاظ وعمق المعاني  
ومعظمه في الصنائع والمحسنات البديعية كالتورية  
والإيهام، وهو خال عن التكلف البارد والتعسف  
العقيم ، ويقول العلامة رشيد الدين الوطواط  
في كتابه ( حقائق السحر ) معلقاً على شعر  
مسعود اللاهوري ، إنه شعر لطيف سلس جامع  
لم يبلغ شأوه أحد من شعراء العجم في ذلك  
الوقت .

ومن صنعة التورية والإيهام قوله في وصف  
الليل الطويل :

وليل كان الشمس ضلت ممرها  
وليس لها نحو المشارق مرجع  
نظرت إليه والظلام كأنه  
على العين غريبان من الجو وقع  
فقلت لقلبي طال ليلى وليس لي  
من الهم منجاة وفي الصبر مفرج  
أرى ذنب السرحان في الجو ساطعاً  
فهل ممكن أن الغزالة تطلع ؟!

وله في وصف الليل أيضاً وهو من الشعر ذي  
القافيتين :

يا ليلة أظلمت علينا      ليلاء قارية الدجنه  
قد ركضت في الدجى علينا      دهما خدارية الأعنه  
فبت أقتاسها فكانت      حبلى نهارية الأجنه  
ومن صنعة تسمى حسن المطلع قوله يمدح  
ملكاً فاتحاً :

ثق بالحسام فعهد ميمون  
أبدأ وقل للنصر كن فيكون !

وهو القائل :

لزمت سجناً والباب مغلق دوني  
وليس يفتح دون المهيمن الفتح

شہ



وقد كان أبو العلاء الغزنوي اللاهوري هذا واسع الثقافة ، وافر المعرفة ، وله مشاركة في الأدب والشعر والفنون العربية الأخرى المتداولة في عصره ، فإننا نرى أن المصادر الأدبية عن العصر الغزنوي وأصحاب التراجم والسير يذكرونه كعميد من عمداء الإنشاء والترسل ، وهذا اللقب الضخم الكبير لم يكن يستحقه من الكتاب المترسلين والأدباء الناثرين إلا من اضطلع في الأساليب الإنشائية المتنوعة ، وبلغ الغاية القصوى من الثقافة والمعرفة ، وفاق أقرانه في كثير من المحاسن والمفاخر والمزايا .

وكذلك فإن الرجل كان ذا أدب غزير جدير بالدرس والمطالعة والعناية والاهتمام ، وقد عرف بين معاصريه وفي كتب التراجم ككاتب مجيد ، وشاعر عظيم ذى الديوانين العربي والفارسي ، وأن جميع المؤلفين الذين ترجموا له أو كتبوا عن أدبه وثقافته ، لم يفتهم أن يلقبوه بالشاعر الكاتب والعميد الأجل ، فهذا هو

القاضي معين الدين محمد بن محمود الفزنوي  
صاحب ( سرُّ السرور ) يقول عن اشتغاله  
بالترسل والإنشاء وقرض الشعر وإنشاده :

« ولم يزل منذ شبَّ إلى أن اشتعل الشيبُ  
برأسه، ورسب قَدَى العمر في آخر كأسه بين  
اقتباس يصطاد به وحوش الشوارد ، واقتباس  
ينثر منه لآلى القلائد ، وإبداع صنعة في الشعر  
ما جمَّش الأديب بأطرف من بدائعها، واختراع  
نادرة ما أتحف الفضل بأطرف من روائعها .

وهذا مما يدلُّنا على أن الرجل كان على جانب  
رفيع من العلم والثقافة والنظرة الأدبية  
السليمة ، كما أنه كان يتمتع بمكانة في الشعر  
لم تكن تقلَّ عن مكانته في النثر باللغتين العربية  
والفارسية ، إلا أننا ، لسوء الحظ ؛ لا نعثر على  
دواوينه الشعرية والإنشائية بهاتين اللغتين ،  
وليس لدينا من النماذج الشعرية والنثرية لهذا  
الشاعر الكاتب ، إلا ما أورده محمد العوفي في  
( لباب الألباب ) وأبو الحسن الباخري في ( دمية

القصر ) والشيخ « هدايت » في (مجمع الفصحاء)  
أو ما سجّله القاضي معين الدين محمد الفزنوي  
 واحتفظ به ياقوت الحموي في (معجم الأدباء) .  
 وهذا الذى أورده هؤلاء المؤلفون الكبار في كتبهم  
 هو يشمل المقتطفات الشعرية القليلة ، إلى جانب  
 المقتبسات النثرية النادرة ، أما ديوانه العربي  
 والفارسي ورسائله النادرة فقد طارت بها  
 العنقاء ، وأبادتها يد الأيام وعصفت بها  
 الرياح فصارت كأن لم تكن شيئاً مذكوراً !!

ويجدر بنا في هذا المقام أن نشير إلى المدرسة  
 الإنشائية التى كان يتبعها أبو العلاء فى الترسل  
 والإنشاء قبل أن نخوض فى الحديث عن أسلوبه  
 الأدبى ، ونتناول نماذجه النثرية التى احتفظت  
 بها المصادر والمراجع التى ترجمت له ، وقد عاش  
 هذا العميد الأجلّ ، والكاتب المجيد فى العصر  
 الذى تَلَاحَ عَصَرَ الكُتَاب الفطاحل والبلغاء  
 العباقرة من أمثال أبى الفضل بديع الزمان  
 أحمد بن الحسين الهمداني المتوفى فى ٣٩٨ هـ ،

وأبى بكر محمد بن العباس الخوارزمي المتوفى  
فى ٣٨٣هـ وغيرهما .

وقد كانت الكتابة العربية بسيطة جداً فى  
عصورها الأولى، ولكنها بمضى الوقت ، وتطور  
الدولة وتقدم اللغة صارت كتابة الرسائل  
صناعة فائقة ، تستدعى التأنىق والتنىق ،  
والبراعة والكمال إلى جانب إظهار القدرة  
الإبداعية، وإبراز العبقرية الفنية ، وبدأت  
طبائع الكتّاب المترسلين تميل إلى السجع  
والقفافية فى الرسائل الديوانية والإخوانية حتى  
دخل القرن الهجرى الرابع ، وهو من أزهى  
العصور وأفخرها للنثر العربى ، والكتابة  
الأدبية فى تاريخ لغتنا العربية وآدابها ، وظهر  
على أفق الأدب العربى وعلى مطلع الترسل  
والإنشاء الكاتب البليغ والأديب النابغة  
أبو الفضل بديع الزمان الهمذاني وأضرابه  
وفى عصر الهمذاني ، تبوأ السجع المرتبة الأولى  
والمكانة العليا فى كتابة الرسائل ، وبذلك أخذت

الرسائل المسجوعة المنمقة تحتل نفس المكانة في  
النثر الفني التي كانت القصائد الشعرية البديعة  
تحتلها في شعر الشعراء ، فاتجه نشاط الأدباء  
والكتّاب إلى النثر ، وأخذوا يظهرّون فيه  
البراعة ويحققون الكفاءة ، ويتكلفون فيه  
الكثير من التنميق والإجادة ، وغلب عليهم  
الزخرف والتفنن والتلاعب بالألفاظ وجرت  
بينهم المساجلات الطريفة ، تركت لنا الروائع  
من الرسائل الاخوانية والديوانية على السواء !

قلنا إن الرسائل المسجوعة المنمقة كانت قد  
أخذت تحتل المكانة التي كانت القصائد الشعرية  
تحتلها فيما مضى من العصور، بل إن النثر كان  
قد بدأ يأخذ خصائص الشعر .وأخذت الرسالة  
تحتل أغراض القصيدة في الموضوعات التي كان  
الشعر يطرقها مثل المدح والهجاء والتعزية  
والرثاء والعتاب والاعتذار والاستعطاف  
والوصف والنصح والحكم والودّ والصدّاقة ، بل  
أضيفت إليها أشياء لم يكن الشعر يعرفها

الكندية والاستجداء والمناظرة والمساجلة  
والشئون العامة وغيرها من الموضوعات .

فهذا هو العصر الذى تلاه عصر أبى العلاء  
اللاهوري وهذا هو النوع من النثر الذى كان  
يعالجه أبو العلاء . وأما النماذج من نثره الذى  
وصل إلينا منه بعض المقتبسات والمختارات فى  
كُتب السير والتراجم لرجال العلم والأدب  
لهذا العصر فانها وإن كانت قليلة نادرة جداً ،  
إلا أننا نستطيع من خلال هذا القليل النادر أن  
نعرف مكانة الرجل بين الكتّاب المترسلين  
والأدباء النافرين فى عصره، كما أننا نتمكن من  
تقدير هذا النثر العربى وتقويمه، فهو يعطينا  
صورة واضحة - وإن لم تكن كاملة - عن قدرته  
وعلو مكانته فى لغة الناطقين بالضاد ومعرفته  
الشاملة بقواعدها وأساليبها المتعارفة المتداولة  
فى عصره . إن هذه الآثار النثرية الجميلة تدل  
دلالة واضحة على موهبة الرجل وطبعه الخصب  
الفياض، كما تدل على مجهوداته الجبارة المثمرة

التي بذلها في خدمة اللغة العربية وآدابها في هذه المنطقة النائية البعيدة عن البلاد العربية موطن العربية الأصلي ومهدا العريق !

فمن النماذج النثرية لأبى العلاء عطاء بن يعقوب الغزنوي اللاهوري قوله يشكو جور الزمان وغدره بأهله ، ويذكر ما كابده على أيدي بعض الوشاة والخونة من أصدقائه وزملائه في لاهور ، ثم تحوله منها إلى مدينة المولتان من مدن باكستان المعروفة كأسير مقيّد :

« منذ تورّدت هذه الناحية لم يرد عليّ سحابة أروى بها كبدى الصادية ، وأجلو حالى الصادئة ، وأستظهر بها على دهر يقصدنى حيثما قصدت ، ويضربنى أينما ضربت ' ، ولم أخلص بعد من السنة أبنائه فى ذلك الحى حتى ابتليت ' بأسنة بناته فى هذا الفى ، وطلّعت علينا عارضة داجية الجوّ باكية النوء ، وأمطرتنا مطر السوء بوفاة الظعينة المسكينة ، فتضاعف سقم برّاح بى فلا يبرّح ، وترادف ألم ألحّ

عليّ ، فلا لَحَلَحَ ، وما حالُ أفقِ أفلِ نهاره ،  
وروضِ ذبِلَتِ أزهاره ، وقلبِ زالِ قراره ،  
وخلِبِ زادِ أواره ، وكثِيرِ فارقِ عزّته ،  
ثم فقد عزّته ، والمصيبة في الغربة أقطع ،  
ونكءُ القُرَحِ بالقُرَحِ أوجع !

وأكثر ما جرّ عليّ هذه الفادحة تطيرى  
بفلان ، فإنه بكّر عليّ يوم النّوروزِ متأبطاً  
طوماراً أطول من يوم الحشر ، قد أربى ذراعاً  
على العشر ، يضيق عنه نطاق النشر ، ملأه نظماً  
رنثراً في مرثية جارية له قد ماتت منذ خمسين  
سنة ! ذكر فيه غُرَّتَها ونُعَرَّتَها وطرَّتَها  
دَرَّتَها وعمرَّتَها وخمرَّتَها ، وسرَّتَها وصُرَّتَها  
تَشَفَّعتْ إليه ، وتضرّعت بين يديه ، وقلت  
ه : أَنشدك الله إلا طويته وأدرجته ، وأدخلته  
ن حيث أخرجته ! فأبى إلا جماحاً في المسحل ،  
سلّ مقولاً كالمعول ، وجعل يكيل من تلك  
لأهواسٍ ، إذا قرأ سطرأ أعاد إلى الرأس ،  
حكى أساطير الأولين ، ورفع العويل والأنين ،

وأرسل المخاط والذنين ، كلما قال لفضة سعل ،  
وأخرج من قعر حلقه جعل ، وأنا أنزوى كما  
تنزوى الجملدة فى النار ، وألتوى كما تلتوى  
الحية على الأوار ، لا يمكننى أن أقرّ ، ولا  
تركن حتى أفرّ، إلى نصف النهار ، ولم ينصف  
بعد الطومار' ، وقمنا إلى المفروض ، بعد  
النهوض ، ولما انفصلت من ذلك المكان وصل  
كتاب التحوّل إلى (المولتان) وحمت المسكينة فى  
الحال ووقعنا فى الأوجال ، والله نصيرى على  
الزمان والاخوان وحسبى ، وقد قل منه ومنهم  
حظى ونصيبى ! »

ولعل السجع الذى لاحظناه فى هذه الرسالة  
الإخوانية لأبى العلاء اللاهورى الذى يسير على  
درب الكتّاب المترسلين المعاصرين له ، من أروع  
النماذج الإنشائية وأجملها لهذا الشاعر الكاتب  
والعميد الأجلّ، وهى تحمل من المعانى الإنسانية  
الموفورة إلى جانب الأسلوب البديع المفعم  
بالموسيقى اللفظية والمحسنات البديعية الفائقة .

ومن رسائل أبى العلاء اللاهوري الإخوانية الجميلة رسالة طريفة رائعة، بعث بها إلى أحد الوزراء في وقته وكان من أصدقائه وهى مليئة بالمصطلحات النحوية التى استخدمها أبو العلاء لتعبيرات نادرة بديعة، وهى مما يدل على براعة الرجل ، وولوعه بقواعد اللغة العربية ، وقدرته على استخدام المفردات اللغوية لأكثر من معنى :

« أطال الله بقاء الشيخ فى عزّ مرفوع كاسم كان وأخواتها ، إلى فلك الأفلاك، منصوب كاسم إن وذواتها ، إلى سمك السماك، موصوف بصفة النماء ، موصول بصلة البقاء ، مقصور على قضية المراد ، ممدود إلى يوم التناد ، معرفّ به ، مضاف إليه ، مفعول له ، موقوف عليه ، صحيح سالم من حروف العلة ، غير معتل ولا مهموز همز الذلة، يثنّى ويجمّع دائماً جمع السلامة والكثرة . لا جمع التكسير والقلّة ساكن لا تغير يد الحركة ، مبني على اليُمن والبركة ، مضاعف مكرّر على تناوب الأحوال ، زائد غير ناقص

على تعاقب الأحوال ، مبتدأ به خبره الزيادة' ،  
فاعل مفعوله الكرامة ، مستقبلة خير من ماضيه  
حالا ، وغده أكثر من يومه وأمسه جلالاته . له  
الاسم المتمكن من إعراب الأمانى ، والفعل المضارع  
للسيف اليماني ، لازم لربعه لا يتعدى ولا ينصرف  
عنه إلى العدى ، ولا يدخله الكسر والتنوين  
أبدأ ، يقرأ باب التعجب من يراه ، منصوباً على  
الحال إلى أعلى ذراه ، متحركاً بالدولة والتمكين  
منصرفاً ، إلى ربوة ذات قرار ومعين !

« وهذا دعاء دعوت له على لسان النحو ، وأنا  
داع له بكل لسان على هذا النحو ، ولولا  
الاحتراز العظيم من أن يملّ الأستاذ الكريم  
لسردت أفراد سرده ، وجعلت أوراده ورداً ،  
وجمعت أعداده عقداً ، ونظمت أبداده عقداً ،  
ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ، وأن الله لا يهدى  
كيد الخائنين ! »

ومن روائع الحكمة والنصيحة فى رسائله

الإخوانية هذه القطعة النادرة من احدى رسائله  
التي يقول فيها :

« الصحبة 'نسبة في شرع الكرم ، والمعرفة  
عند أهل النّهى أوفى الذمم ، والأخوة 'لحمة  
دانية ، والمصافاة قرابة ثانية ، ولو كان ما بين  
ذات البين ما بين القطبين لوجب أن يقطعا عرض  
السماء كالمجرّة مواصلة ، ويتصلا اتصال  
الكواكب مراسلة ، ولكن الأقوال في العقوق  
سواسية ، والقلوب في رعاية الحقوق قاسية ! »

شعره



وكان أبو العلاء اللاهوري ، مع طول الباع وعلو المكانة في عالم الكتابة والإنشاء ، يجيد الشعر باللغتين العربية والفارسية ، ومن دأب الكتّاب المترسلين أنهم كانوا يزينون صدور رسائلهم أو أوساطها بالمختار من الشعر سواء كان ذلك من بنات أفكارهم أو لغيرهم من الشعراء المفلّحين ، كما أنهم كانوا لا يرون ثباتاً وجدارة لمكانتهم الأدبية إلا اذا جمعوا الشعر إلى النثر ، وكانوا يتصنعون ويتكلفون في ذلك كثيراً ومن هنا نشأ صنف ممتاز من الشعر باللغة العربية قد اصطلح النقاد العرب على تسميته ( بشعر الكتّاب ) ومعظمه لم يكن على شيء من الرونق والجمال .

وأما شعر العميد الأجلّ أبي العلاء اللاهوري سواء كان بالعربية أو الفارسية فإنه ليس من هذا القبيل ، إنه لم يكن شاعراً متكلفاً ، وإنما كان شاعراً مطبوعاً ، وكان شاعراً متفنناً قبل أن يكون كاتباً مترسلاً ، إن شعره الذي وصل

إلينا جيد رصين كله ، وهو يجمع بين رِقَّة  
الأسلوب اللفظي وسلاسته وبين دقَّة التعبير  
المعنوي ولطافته ، إلى جانب التشبيهات النادرة  
الطريفة ، والاستعارات البديعة الجميلة ، وليس  
فيه التكلف البارد ، أو التصنع الفارغ الذي  
يتسم به شعر الكثيرين من أضرابه ومعاصريه  
من الشعراء الكتَّاب في العصر الفزنوي .

وأما الموضوعات الشعرية عند أبي العلاء  
اللاهوري فهي لا تختلف عن الموضوعات المتعارفة  
المتداولة في عصره من الوصف والمديح والثناء  
والغزل والزهد والهجاء ، وقد كان ضليعاً خبيراً  
بالصناعات الشعرية والمحسنات البديعية .

وقبل أن نخوض في دراسة شعره يجدر بنا  
الإشارة إلى أن اللغة الفارسية كانت قد أخذت  
تحل محلّ اللغة العربية كلفة رسمية للبلاد ،  
كما أنها كانت قد أصبحت أداة التربية والتعليم  
والثقافة ، وكان المثقفون من الشعراء والكتَّاب  
والأدباء والعلماء يجيدون اللغتين شعراً ونثراً ،

وهذا مما اكتسب لشعراء هذا العصر وأدبائه لقب « ذوى اللسانين » أى شعراء اللغتين وأدباؤهما ، ومنهم صاحبنا أبو العلاء اللاهوري الذى كان قد أخرج ديوانين ، أحدهما باللغة العربية والثانى باللغة الفارسية وفى ذلك يقول القاضي معين الدين محمد بن محمود الفزنوي :

« وقد سافر كلامه من غزنة إلى العراق ،  
ومن ثم إلى سائر الآفاق ، حتى أننى حدثت أن  
ديوان شعره بمصر يشتري بمائتين من الحمير  
الراقصات على الظفر ، والمشهور أن ديوان  
شعره العربي والفارسي يشتري بخراسان  
بأوفر الأثمان وكيف لا ، وما من كلمة من  
كلماته إلا وحقها أن تملك بالأنفُس وتُقتنى ،  
وتباع بالأنفُس وتشتري ! »

ومن طريف شعره يصف شجرة الياسمين  
ويقول: إن هذه الشجرة مسكينة جداً ، حيث  
تركَّب اسمها من كلمتين عربيتين أحدهما  
« اليأس » والثانية « المين » فهو يتشاءم بها قائلاً :

إليك الياسمين الغضن عنى

إليك فإن فيه شر قال

فنصف منه ياسى من وصال

ونصف منه مَن من خيال !!

ويروى العلامة أبو الحسن الباخري صاحب  
( دمية القصر ) أن الشعراء المعاصرين كانوا  
يهدون قصائدهم للأستاذ العميد أبى العلاء  
اللاهوري ، ويفتخرون بذلك وخاصة إذا علّق  
على شعرهم وأبدى فيه رأيه ، وفى بعض الأحيان  
كان الأستاذ العميد يعلق عليه شعراً ويصف  
القصيدة وصفاً جميلاً رائعاً ، ويقول الباخري  
أن شاعراً من أصدقائه أهدى له قصيدة فأعجب  
العميد بها وأخذها الاهتزاز فقال هذه الأبيات  
التالية وبعث بها الى صديقه :

نظمتك المعجز المبارك فالأ

قد سبقنا من عينه سلسالا

فروينا وما روينا ولكن

قد شفيانا به القلوب النبالا

وَاجْتَبَيْنَا لَآلِي الْعَقْد مِنْهُ  
وَاجْتَنَيْنَا السَّعُودَ وَالْأَقْبَالَ

رَقَّ لَفْظًا فَقِيلَ خَمْرٌ حَرَامٌ  
رَاقٌ مَعْنَى فَخِيلٌ سَعْرًا حَلَالًا

وبعد أن يروى الباخرزي هذه الأبيات ، يعلق  
عليها قائلاً : « قلت ' : هذا روق ' رائق ، وفوقَ  
فائق ، وغزل مفازل » وأرى أن هذا التعليق  
يغنيها عن المزيد ، ولا نحتاج الى أن نضيف شيئاً  
إلى ذلك !

وله من هذا النوع أبيات أخرى لا تقل روعة  
وجمالا من سالفاتها ، فيقول وهو يصف شعراً  
لأحد الشعراء المعاصرين له :

قريض تجلى مثل ما ابتسمت « أروى »  
ترشفت من فيه الرضاب فعمد أروى  
تجلى كأروى في خجال سطوره  
وأنزل من شمّ الجبال لنا أروى  
كفض شباب الغضّ غاض بهاؤه  
وعهد اللوى ألوى به زمن الوى

اذ الدهر غَضٌّ ناضرُ العود ناظرُ  
 الينا بما يهوى ولم يلق في المهوى  
 قريض به زادت لقلبي غلة  
 وغرى به يروى الغليل اذا يروى  
 وكان إذا دخل مضمار المحسنات البديعية أتى  
 بالعجائب ، وأدهش العقول ومن ذلك قوله :  
 يا ظبية سلّت ظبى من جفنها  
 تفرى بها أعناق آساد الورى  
 ما كنت أدري قبل جفئك أن أجـ  
 فـان الظباء تكون أجفان الظبى  
 ومن هذا الباب قوله :  
 إذا ما نبا حدّ الأسنة والظبى  
 فما نابـه في الحادثات بنابـ  
 تقصّف رمح الخط وسط كتاب  
 إذا هزّ رمح الخط وسط كتاب  
 وله من باب المحسنات البديعية أيضاً :  
 وكم حلّ عقداً للحوادث عقده  
 وكم قلّ نابةً للنوائب نابـه

كمغلب ليث الغاب حَداً وحِدة

ومغلب' ليث الفضل والعلم غابه

إذا صاد ليث' العنكبوت ذُبابه

فهذا حسام' صاد ليثاً ذبابه

وكان الأستاذ العميد أبو سعيد عبد الغفار  
ابن فاخر البُستي ، رحمه الله ، يروى شعر  
أبي العلاء ويفتخر بذلك ومما رواه البُستي  
وأنشده هذه الأبيات التالية يصف بها جمال  
ممدوحه وفضله وكرمه :

|                    |                           |
|--------------------|---------------------------|
| أيا من رآه البـد   | ر' ظلّ لوجهه يسجد         |
| ويا من غيم نائله   | يجود لنا ولا يرعد         |
| ويا من فضله يدنو   | ولكن وصفه يبعد            |
| أتذكرني إذا تغلو : | « وما لي لا أرى الهدد » ! |

كان أبو العلاء الغزنوي اللاهوري ومن على  
شاكلته من الشعراء في هذا العصر يقلدون فحول  
الشعراء الجاهليين والإسلاميين ، ويتتبعون مناهج  
شعرهم ، وأساليب تعبيرهم ، فمن هذا الضرب

قصيدة دالية أنشأها أبو العلاء على نهج دالية  
الشاعر العربي المشهور الأعشى الكبير ميمون  
ابن قيس الذى يقول :

ألم تغمض عيناك ليلة أرمدا ... الخ

وأما دالية أبى العلاء فقد أبادتها يد الأيام  
ولا نجد منها شيئاً غير البيتين وهما :

أعبد للدنيا الدنيئة أعبدأ

وفضل الهى ماج كالبحر مزبدا

عطاء" حنانا لا يحيط بعده

حساب ( عطاء ) ألف عام مرددا !!

ومن أروع ما قاله أبو العلاء عطاء بن يعقوب  
من الشعر باللغة العربية قوله يذكر أصدقاءه  
وأحبته وزملاءه الذين كان يتمتع بصحبتهم  
ومجالستهم والحديث معهم ، ففرق الدهر بينهم  
وتفرقوا أيدي سبا وبقي وحيداً فحزن على هذا  
البعد والفراق فتدفق طبعه الخصب الفياض  
قائلاً :

الله' جار' عصاة ودعتهم  
 والدمع يهمى والفؤاد يهيم'  
 قد كان دهرى جنة فى ظلهم  
 ساروا فاضى الدهر وهو جعيم'  
 كانوا غيوثَ سماحة وتكرم  
 فاليوم بعدهم الجفون غيوم'  
 رحلوا على رغمى ولكن حبهم  
 بين الفؤاد المستهام مقيم'  
 قد خانهم صرف الزمان لأنهم  
 كانوا كراماً والزمان لئيم' !!  
 طلقت' لذاتى ثلاثاً بعدهم  
 حتى يعود العقد' وهو نظيم'  
 الله' - حيث تعمّلوا - جار' لهم  
 والأمن دار والسرور' نديم'  
 والعيش' غض' والمناهل عذبة'  
 والجو' طلق والرياح نسيم' !

وللشعر باب في الزهد ومذمة الدنيا الدنيئة  
والشعراء يطرقون هذا الباب إذا أساء الزمان  
إليهم ، وتبرموا أهله وسئموا الحياة الدنيا ولم  
يفت صاحبنا أن يتطرق إلى هذا الموضوع وقد  
مر البيتان من داليتيه في ذلك ومنه قوله :

أحلب من دنيائي جداء ما بها

على كثرة الابساس ، دَرّ ولا جدى

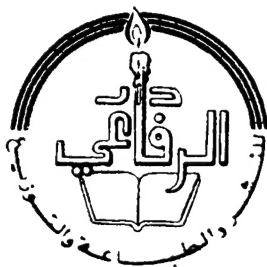
وأسبح في بحر السراب ضلالة

واترك صداء ، وبى حُرْقُ الصدى !!



## فهرست الموضوعات

| صفحة | الموضوع                      |
|------|------------------------------|
| ٥    | مقدمة                        |
|      | حياة ابي العلاء اللاهوري :   |
| ١٧   | أثره                         |
| ١٩   | مولده                        |
| ٢١   | المنصب والمحنة               |
| ٢٥   | بين الأهل والأصدقاء في لاهور |
| ٢٧   | وفاته                        |
| ٢٩   | آراء أهل العلم في شخصيته     |
| ٣٥   | بينه وبين مسعود اللاهوري     |
| ٤٧   | نثره                         |
| ٦١   | شعره                         |
| ٧٣   | فهرست الموضوعات              |



المقر الرياض - الملز - تفرع شارع جريص.ب (١٥٩٠)

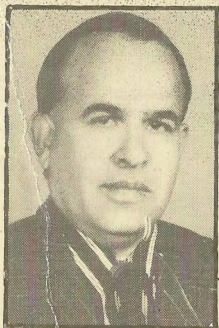
تلفون ٤٧٧٧٢٦٩ - برقياً : دار الرفاعي

المملكة العربية السعودية

مطابع الروضة - جدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الكاتب بقلمه ..



ه ولدت في قرية تسمى كبيكي من قري  
لاقليم بنجاب في باكستان سنة ١٩٣٧م  
في أسرة متدينة من الفلاحين فبدأت  
أحفظ القرآن الكريم على والدي رحمه الله  
ه ثم أملت دراساتي كلها كطالب غير منتظم  
إلا الدراسات الإسلامية فقد تخرجت من  
جامعة بنجاب بلاهور سنة ١٩٥٩م ثم نلت الماجستير باللغة العربية  
في ١٩٦١م ثم ماجستير الدراسات الإسلامية في ١٩٦٢م ثم نلت  
دكتوراه في الآداب العربية في ١٩٦٩م من نفس الجامعة  
ه عملت مدرساً للغة العربية فحاضراً لها فأستاذاً جامعياً وذلك  
منذ ١٩٥٦م حتى اليوم  
ه أجيد إلى جانب البنجابية ودر لغة أمي أربع لغات كتابة وحديثاً  
وهي العربية والأردية والإنجليزية والفارسية وولي ما يزيد  
من عشرين كتاباً إلى جانب العديد من البحوث والمقالات وأكتب  
بالصحف والجرائد الأردية والعربية والإنجليزية خالد